سورة الفاتحة

الفاتحة سورة مكية وآياتها سبع آيات.

وهي أم الكتاب، وأعظم سورة في القرآن، يقول العلماء: (إن القرآن كله مُرَكَّزٌ في هذه السورة)، أي: أنها خُلاصته، وخُلاصتها قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. ولها عدة أسماء ذكرها المفسرون. وقال الأئمة أحمد ومالك والشافعي: (الفاتحة ركن من أركان الصلاة، ولا تصح الصلاة إلا بها)، واستدلوا بحديث: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»(١)، أما أبو حنيفة فقال: (الفاتحة ليست بركن، وتصح الصلاة بما تيسر من القرآن)، واستدل بحديث المسيء صلاته، الذي قال له النبي ﷺ بعد ما بين له صفة الصلاة: «**ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن**»(٢).

[١] بدأ جل وعلا الفاتحة بالبسملة، فقال تعالىٰ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، ومعناها: أبتدئ قراءة القرآن باسم الله، مستعينًا به، فإنه سبحانه المستحق لإفراده بالألوهية والعبادة، وهو صاحب الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وقوله: ﴿اللَّهِ﴾، علم علىٰ الرب لا يطلق علىٰ أحد غيره، وقيل: إنه اسم الله الأعظم. و﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، اسمان من أسماء الله تعالىٰ، يتضمنان صفة الرحمة اللائقة به سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وأن كل اسم يتضمن صفة تليق به، وهكذا يقال في جميع أسماء الله الواردة في الكتاب والسنة، و﴿الرَّحْمَٰنِ﴾: اسم دال علىٰ عموم رحمته لجميع خلقه، مؤمنهم وكافرهم، و﴿الرَّحِيمِ﴾: اسم دال علىٰ رحمته الخاصة بالمؤمنين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] والراجح أن البسملة ليست آية من الفاتحة، ولكنها آية مستقلة من القرآن، ولهذا لا يجب الجهر بها في الصلاة الجهرية.

[٢] ثم أخبر جل وعلا أن له الحمدَ التامَّ الكامل، وأنه المحمود علىٰ كل حال، والحمد هو: الثناء علىٰ الله باللسان معتقدًا ذلك، ونحمده سبحانه لأنه رب العالمين، أي: رب كل شيء ومليكه، والرب: اسم من أسماء الله، لذا يصح أن يقال: عبدالرب.

[٣] ثم بين سبحانه أننا نحمده لأنه الرحمن الرحيم، أي: صاحب الرحمة الواسعة العظيمة، وقد سبق الإشارة لمعنيَهما.

[٤] وبين سبحانه أننا نحمده لأنه مالكٌ ليوم الدين، وهو يوم القيامة، الذي هو يوم الجزاء والحساب.

[٥] ولمَّا كان سبحانه بهذه العظمة والملك والرحمة استحق من عباده أن يخصُّوه بالعبادة والاستعانة في كل أمورهم الدنيوية والأخروية؛ وهذا يعني أنه لا يجوز للعبد أن يصرف شيئًا من أنواع العبادة؛ كالدعاء والاستغاثة والذبح وغيرها إلا لله وحده، وكذلك لا يجوز له أن يستعين بأحد سوىٰ الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، وأيضًا لا يجوز له أن يتعلق قلبُه بأحد سوىٰ الله، وهذا لا ينافي الأخذ بالأسباب.

وقدم سبحانه العبادة علىٰ الاستعانة لأهميتها، ولأنها الغاية التي

من أجلها خُلق الثقلان، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] و**قال ابن تيمية**: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. وكرر قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ لإثبات اختصاصه بالعبادة والإعانة عليها.

[٦] ثم بين جلَّ وعلا أعظم مطلوبٍ لعباده، وهو طلب الهداية إلىٰ الطريق الواضح البين الذي يوصِّل إلىٰ الجنة وهو الإسلام؛ ومع أن العبد مهتد وعلىٰ الإسلام فقد شُرِعَ له طلب الهداية لقصد الاستمرار عليها؛ وحيث أن الصراط تتشعب منه طرق يمنة ويسرة؛ فكان الواجب علىٰ العبد أن يطلب من الله أن يثبته علىٰ الهدىٰ وعلىٰ الصراط المستقيم.

[٧] ثم بين جل وعلا أن الصراط الذي أمروا أن يسلكوه هو صراط المنعم عليهم الذين ورد ذكرهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩]، وهذا الصراط المستقيم ليس صراط المغضوب عليهم وهم: اليهود؛ الذين علموا المنزَّل فحرَّفوه، وليس صراط الضَّالين وهم: النَّصارىٰ؛ الذين عبدوا الله علىٰ جهالة.

ولا شك أن كل من ينطبق عليه أحد هذين الوصفين فهو مقصود بهذه الآية. وبعد قراءة الفاتحة يجب علىٰ المصلي -إمامًا ومأمومًا ومنفردًا- أن يقول: (آمين)، وهي اسم فعل بمعنىٰ: اللهم استجب، وأجمعوا علىٰ أنها ليست من الفاتحة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧).